الفصل الثاني

دور المؤسسات الخيرية والوقفية في نهضة التعليم

المبحث الأول : دعم المؤسسات الخيرية للتعليم واستراتيجيات التمويل .

المبحث الثاني : نبذة تاريخية عن الوقف ودوره في دعم المؤسسات التعليمية

المبحث الثالث : نماذج ومفاخر من الوقف الإسلامي في مجال التعليم .

الفصل الثاني
دور المؤسسات الخيرية والوقفية في نهضة التعليم

تمهيد :

الناظر في تاريخ الحياة العلمية للمسلمين يعرف أن دعم النشاط العلمي قد قام على نظام الوقف على مدى قرون عدة في التاريخ الإسلامي ولقد كان للأوقاف الفضل الأول خلال هذه الفترات في ازدهار الحركة العلمية في المساجد والمدارس الكبرى وادائها لوظيفتها في تخريج أجيال العلماء النابغين وتطوير التفكير العلمي في المجتمع المسلم ، وكان اكبر مثال لذلك الجامع الأزهر ، فقد كان له نصيب مقدر من الأوقاف المصرية ينفق منها على ابنيته وفقهائه وطلابه والفقراء الواردين إليه .

كما أن الدور الذي يقع على عاتق المؤسسات الخيرية باعتبارها أحد أهم الشركاء الاجتماعيين، ومن أهم صناع شركاء صناعة النهضة الاجتماعية الإنسانية، ليس دوراً عادياً؛ فثمة شراكة منتظرة بين المؤسسات والجمعيات الخيرية بكافة قدراتها المادية، وبين المؤسسات العلمية ومراكز البحث العلمي بكل إمكانياتها الخدمية والتربوية؛ وذلك من أجل إيجاد الآليات والأدوات والصيغ المناسبة، وتوفير الإمكانيات المادية والمعنوية؛ للمساهمة في القضاء على الأمية بتبعاتها وانعكاساتها على الإنسان غير المتعلم، والمساهمة في صناعة النهضة العلمية لتحقيق ما يليق بالأمة الإسلامية والعربية، وتحسين الأداء النوعي والكمي للمنظومة العلمية، والمساهمة في تقديم الأبحاث العلمية المتقنة، وإضافة ابتكارات واختراعات وعلوم جديدة ومستحدثة، وصناعة كوادر علمية على أعلى مستوى، بما يساهم في تحقيق الريادة المطلوبة؛ من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية النهضوية والتعاليم والإرشادات القرآنية التي حثت على طلب العلم والتعلم.

وهو ما نتوقع أن يضع أمتنا وبلادنا في إطار المنافسة العالمية بأشكالها الأكثر دقة ومهنية وبما لها من نتائج إيجابية تنعكس على كافة المجالات الإنسانية على وجه الأرض.

وخلال المباحث التالية نتعرف على الدور الذي تقوم به المؤسسات الخيرية في دعم العملية التعليمية، واستراتيجيات المؤسسات الخيرية في دعم وتمويل المشروعات العلمية والمراكز البحثية، وكذلك أهم المشكلات والعقبات التي تواجه تلك المؤسسات في مسيرتها النهضوية والعلمية؛ في محاولة لإيجاد بعض الحلول لها.

المبحث الأول

دعم المؤسسات الخيرية للتعليم واستراتيجيات تمويلها

ستبقى هناك حقيقة جلية على الدوام، بأن المجتمع الذي يرغب في النهضة والنهوض على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية، من الطبيعي والمفترض أنه يكون من المجتمعات التي لديها مؤسسات علمية وبحثية متقدمة، وكوادر علمية مؤهلة على أعلى المستويات، يستعين بهم وبخبراتهم الدائمة والمتجددة في صناعة التقدم والنهضة بشكل علمي ومدروس، وكذلك التغلب على كافة المشكلات والأزمات بشكل بعيد عن الروع والرعونة التي قد تنتاب غير المختصين في أوقات الأزمات والشدائد، وهو ما يعني العقلانية والرؤية العلمية الصحيحة المبنية على أسس علمية ومناهج جيدة سهلة القياس، وتحقق أفضل النتائج.

وقد اتضح لنا من خلال ما سبق دراسته أن من بين البرامج والخدمات التي تسعى المؤسسات الخيرية إلى تحقيقها ما يلي :

- برامج التعليم والتدريب والتأهيل:وتشمل إعداد مربيات الأطفال،واستعمال الحاسب الآلي،وتعليم اللغات،وتحسين الخط،والتعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي،ومكافحة الأمية.
- البرامج الثقافية: كإقامة ندوات ومحاضرات وأمسيات دينية وثقافية ، وكذلك إنشاء المكتبات العامة، هذا بالإضافة إلى نشر وطبع وتوزيع الكتب ، ونشرات التوعية
- القيام بإجراء بعض البحوث والدراسات الاجتماعية.
- بناء الإنسان وتكوينه وفقاً للاحتياجات الإيمانية والسلوكية والأخلاقية التي تحتاجها الشخصية المسلمة.
- التعليم والتدريب والتأهيل لسوق العمل وإكساب الفرد مهارات كسب الرزق.
- إجراء البحوث والدراسات الميدانية للظواهر الاجتماعية المؤثرة في بناء الخطط وتحقيق الأهداف وقياس النتائج .
- المشاركة في برامج تنمية المجتمع وتوعيته عبر المؤتمرات والندوات والمحاضرات والفعاليات المختلفة.

فذلك وغيره يعد من بين العديد من البرامج التي تسعى المؤسسات الخيرية إلى تطبيقها، بينما تسعى المؤسسات العلمية في المجتمع إلى تحقيق ما يلي من أهداف:

- إعداد مواطنين أكفاء مؤهلين علميا وفكريًّا تأهيلاً عالياً، لأداء واجبهم في خدمة بلادهم، والنهوض بأمتهم.

- القيام بدور إيجابي في ميدان البحث العلمي الذي يسهم في مجال التقدم العالمي في مختلف المجالات وإيجاد الحلول السليمة الملائمة لمتطلبات الحياة واتجاهاتها التقنية.

- النهوض بحركة التأليف والإنتاج العلمي بما يطوع العلوم لخدمة الفكرة الإسلامية، ويمكن البلاد من دورها القيادي لبناء الحضارة الإنسانية على مبادئها الأصيلة التي تقود البشرية إلى البر والرشاد، وتجنبها الانحرافات المادية والإلحادية.

- القيام بالخدمات التدريبية والدراسات التجديدية التي تنقل إلى الخريجين الذين هم في مجال العمل ما ينبغي أن يطلعوا عليه بعد تخرجهم.

ومن خلال هذه الأهداف وتلك يتضح لنا القواسم المشتركة بين المؤسسات التعليمية والمؤسسات الخيرية ؛ كونهما مؤسسات محور اهتمامها هو الإنسان الذي عليه مدار عملية التنمية في كل المجتمعات.

ولا جدال أن المؤسسات الخيرية، بما فيها من مؤسسات الوقف والزكاة، تساهم بشكل كبيير في النهوض العلمي وتحقيق الأهداف المنشودة من المؤسسات التعليمية والعلمية بما تمتلكه من إمكانيات، ومن بين ما تساهم به المؤسسات الخيرية من دعم لتحقيق النهضة العلمية ما يلي :

١/١ : دعم الطلاب الفقراء وغيرهم :

إن تحصيل العلم مطلب شرعي وضرورة ملحة في هذا الزمان؛ لارتباط العمل بالتطور العلمي الذي وصلت إليه البشرية، مما يتطلب الدراسة والتخصص في ميادين عدة؛ مجاراة لسوق العمل من جهة، ومواكبة للتطور العلمي المتزايد من جهة أخرى، وهذا شكّل عبئاً ثقيلاً على كاهل الأسر المتوسطة والفقيرة؛ لعدم تمكنها من الإنفاق على أبنائها لتكملة دراستهم.

وقد أكدت التقارير أنه يوجد في العالم كله ٦٧,٤ مليون طفل غير ملتحق بالتعليم في عام ٢٠٠٨، يتواجد أكثر من نصف هذا العدد من الأطفال في خمسة عشر دولة فقط، وتعد

نيجيريا وباكستان والهند وأثيوبيا هم أكثر دول العالم ارتفاعا لمعدلات عدم التحاق الأطفال بالتعليم (٧٩) .

أما بالنسبة للمنطقة العربية فيتواجد حوالي ٦,١٨٨ مليون طفل عربي غير ملتحق بالتعليم، وتعد اليمن أكثر الدول في المنطقة العربية ارتفاعا في معدلات عدم التحاق الأطفال بالتعليم؛ حيث يتواجد في اليمن حوالي ١,٠٣ مليون طفل ملتحق بالتعليم، وتقع اليمن في المرتبة السابعة علي مستوي العالم بين الدول الأكثر ارتفاعاً لمعدلات عدم التحاق الأطفال بالتعليم. (٨٠)

كما أشار التقرير إلي أن المدارس التي يرتادها اللاجئون الفلسطينيون في القدس الشرقية مكتظة وتفتقر إلى الموارد، وأن نسب كبيرة من اللاجئين والنازحين تواجه عقبات كبيرة تحول دون انتفاعهم بالتعليم، وأنه في المخيمات التي تديرها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في الدول العربية بلغ متوسط نسبة القيد الإجمالية في التعليم الابتدائي ٤٢% العام ٢٠٠٨ مقابل ١٢% فقط في التعليم الثانوي .

هذا بالرغم من أن نسبة البقاء في التعليم وإتمام الصف الأخير من التعليم الابتدائي في المنطقة العربية لعام ٢٠٠٧ تقدر ٩٧%، وهي نسبة جيدة إذا ما قورنت بمناطق أمريكا الشمالية وأوربا الغربية؛ حيث أن تلك النسبة في تلك المنطقة هي ٩٩%، وأيضا إذا ما قورنت بمناطق جنوب وغرب أسيا؛ حيث تقدر نسبة البقاء في التعليم، وإتمام المرحلة الابتدائية فيها ٦٦% .

وبالطبع ترتبط نسب البقاء في التعليم ارتباطاً وثيقاً بالحالة الاقتصادية للأسر المعيلة للأطفال، فترتفع نسب التسرب من التعليم كلما زادت نسب الفقر؛ لعدم قدرة تحمل تلك الأسر لنفقات التعليم المباشرة والغير مباشرة، بل أن في كثير من الأحيان -ومع ازدياد الفقر- يضطر هؤلاء الأطفال للعمل ليكونوا مصدر دخل لتلك الأسر الفقيرة (٨١).

---

(٧٩) التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع، الصادر في شهر مارس عن منظمة اليونسكو لعام ٢٠١١ تحت عنوان "الأزمات الخفية : النزاعات المسلحة والتعليم".

(٨٠) المرجع السابق.

(٨١) المرجع السابق.

ولقد أثبتت أغلب الدراسات أن دخل الأسر الفقيرة عندما يزداد يصب في الغالب في الإنفاق علي الأطفال، وبالأخص في العملية التعليمية.

ومن هنا جاءت أهمية المؤسسات الخيرية التي تعد آلية تمويل تعمل علي دعم وتمويل الأسر الفقيرة -بما يتوفر لديها من أموال من أهل الخير- التي لا يتوفر لديها قنوات أخري للتمويل، مما يعمل علي رفع وضعهم الاقتصادي.

كما تقوم هذه المؤسسات الخيرية بدعم الطلاب المحتاجين -لا سيما المتفوقين- من خلال تقديم المساعدة المالية الفورية لهم. وكذلك المساهمة بشكل كبير في تقديم الدعم الحقيقي واللازم لتأهيل كوادر بشرية أكثر فقراً وحاجة، ولديها تطلعات كبيرة نحو إفادة المجتمعات التي يعيشون فيها، تأهيلاً علمياً راقياً ومتميزاً، والمساهمة بإكسابهم المعرفة المتميزة والعلوم الإنسانية المتقدمة التي يتطلعون إلى اكتسابها، والتي يستطيعون من خلالها دعم المجتمعات التي يعيشون فيها.

مما يؤدي إلى تقديم خدمات تعليمية أكثر جودة وتنوعاً ومهنية، لينطلقوا بأنفسهم وبمجتمعاتهم نحو آفاق أكثر رحابة من التفوق في كل العلوم التي سيبرعون فيها، وتقديم الوجه المشرق للحضارة الإسلامية التي حضت -ولا تزال تحض- على التعلم، وتنفيذ التعاليم الإسلامية التي دعت لذلك.

٢/١: تقديم خدمات تعليمية أكثر جودة :

إن جودة المنتج التعليمي مسألة هامة، ويدور حولها الكثير من الجدل الدائم، لا سيما في أوطاننا العربية والإسلامية؛ فالمؤسسات العلمية كالجامعات وغيرها رغم عراقتها، وجودة ما تقدمه في كل الأحوال، إلا أنها لديها مشكلات كبرى في عمليات الجودة التعليمية؛ فهي أقل قدرة على تخريج طلاب مؤهلين تأهيلاً علمياً متقدماً يخدم أسواق العمل بالشكل الأفضل، وهي في أحوال كثيرة خارج المنافسة العلمية العالمية.

ولا شك أن الشراكة والتعاون بين الجهات والمؤسسات الخيرية وبين المؤسسات العلمية توجد الآلية التي تصنع الرؤيا المناسبة والصائبة، وتعمل على تقديم الدعم اللازم، خاصة من قبل الجهات الخيرية، التي لديها قدرات مادية عملاقة، كالبنوك الإسلامية المتخصصة، وكمؤسسات الوقف والزكاة، بما يساهم في تخريج كوادر تخدم نفسها، وتخدم أسواق العمل في الدول العربية والإسلامية التي بها -رغم اعتمادها الكبير على العمالة

الخارجية من الدول غير الإسلامية- مئات الآلاف من المتعطلين والفقراء؛ نظراً لعدم اكتسابهم الخبرات الحقيقية، وعدم تأهيلهم تأهيلاً علمياً ونوعياً كافياً يدفعهم إلى القبول في أسواق العمل الداخلية أو الخارجية .

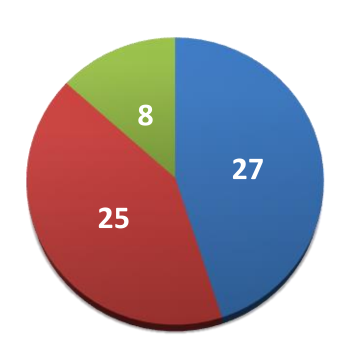
وفيا يلي توضيح حول الاستبيان الذي تم واستهدف شريحة من المؤسسات الخيرية العاملة في مجال التعليم والمستفيدة من دعم الجهات الخيرية الداعمة ، حيث تم استطلاع آراء ٦٠ مؤسسة خيرية من ٢٥ دولة عربية وغير عربية وكانت كالتالي :

جدول يوضح أعداد الدول والجهات المشاركة في الاستبانة

القارة	عدد الدول	عدد الجهات
اسيا	٩	٢٧
أفريقيا	١٢	٢٥
أوروبا	٤	٨
الإجمالي	٢٥	٦٠

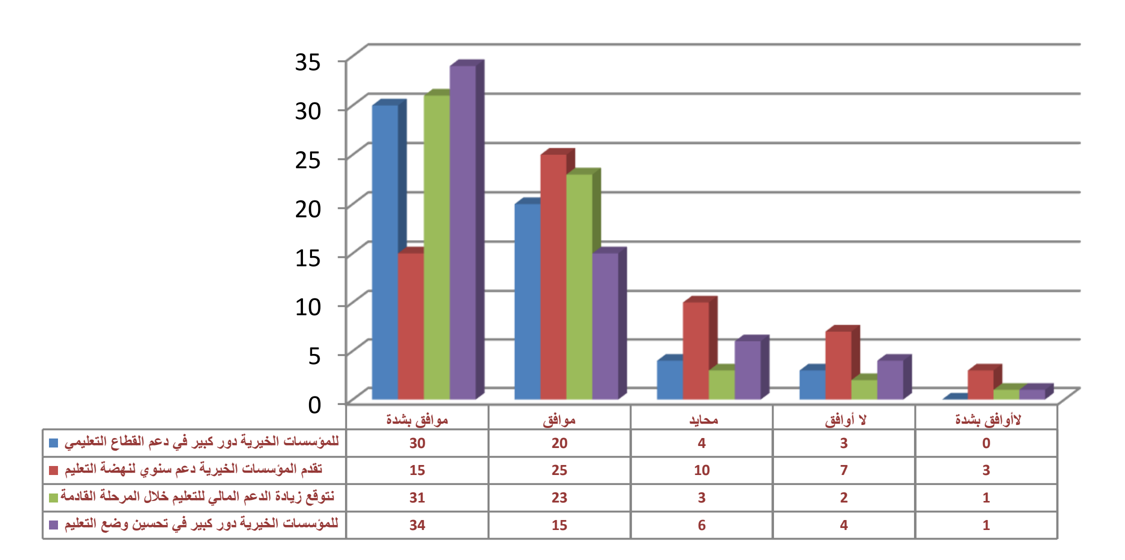
جدول (١)

بيان بأعداد الجهات المشاركة في عينة البحث حسب القارة



شكــل (١)

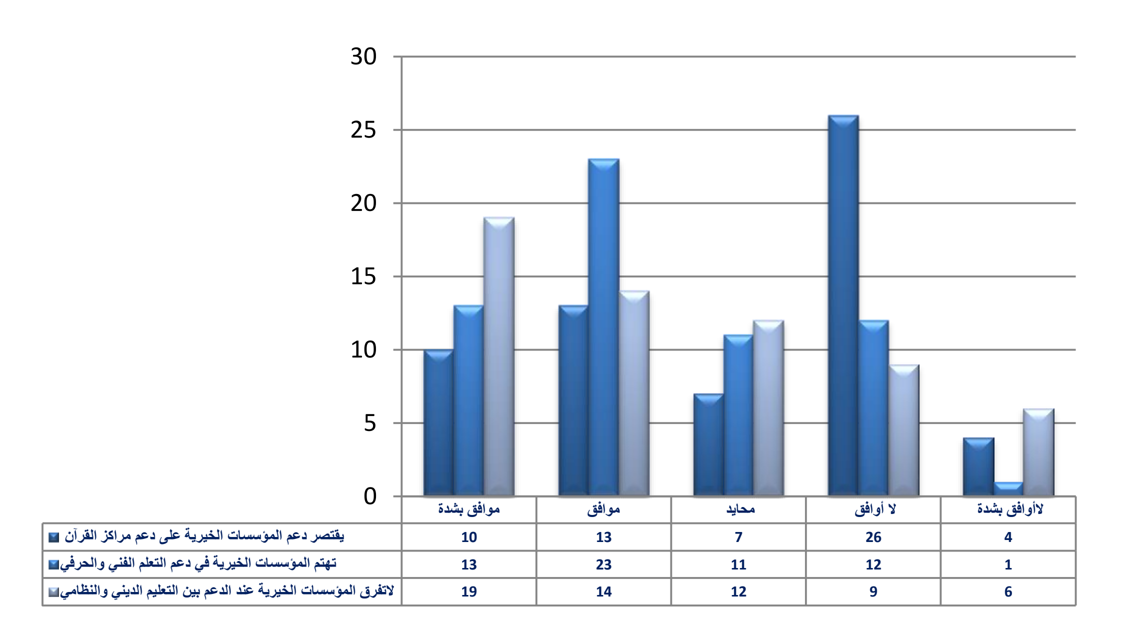




	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لاأوافق بشدة
للمؤسسات الخيرية دور كبير في دعم القطاع التعليمي	30	20	4	3	0
تقدم المؤسسات الخيرية دعم سنوي لنهضة التعليم	15	25	10	7	3
نتوقع زيادة الدعم المالي للتعليم خلال المرحلة القادمة	31	23	3	2	1
للمؤسسات الخيرية دور كبير في تحسين وضع التعليم	34	15	6	4	1

شكـــل (٢)

شكل يوضح إجابات أفراد عينة البحث وفقاً لمعيار
(نوع الدعم المقدم من المؤسسات الخيرية لنهضة التعليم)

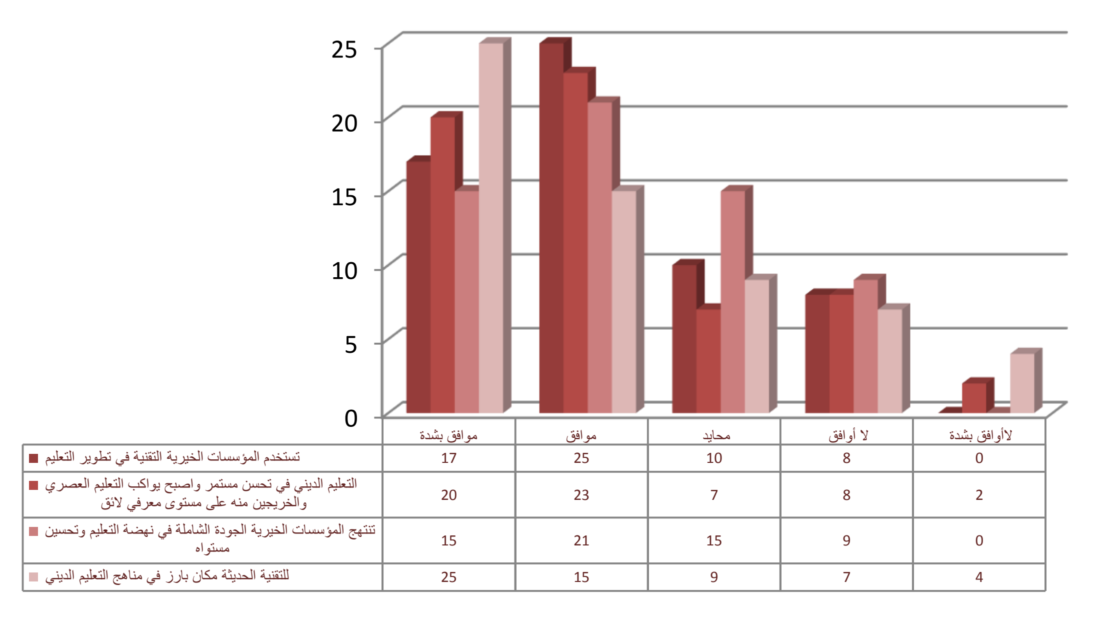


	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لاأوافق بشدة
يقتصر دعم المؤسسات الخيرية على دعم مراكز القرآن	10	13	7	26	4
تهتم المؤسسات الخيرية في دعم التعلم الفني والحرفي	13	23	11	12	1
لاتفرق المؤسسات الخيرية عند الدعم بين التعليم الديني والنظامي	19	14	12	9	6

شكـــل (٣)

□شكل يوضح إجابات أفراد عينة البحث وفقاً لمعيار

(التعليم وارتباطه بالتقنية الحديثة) □

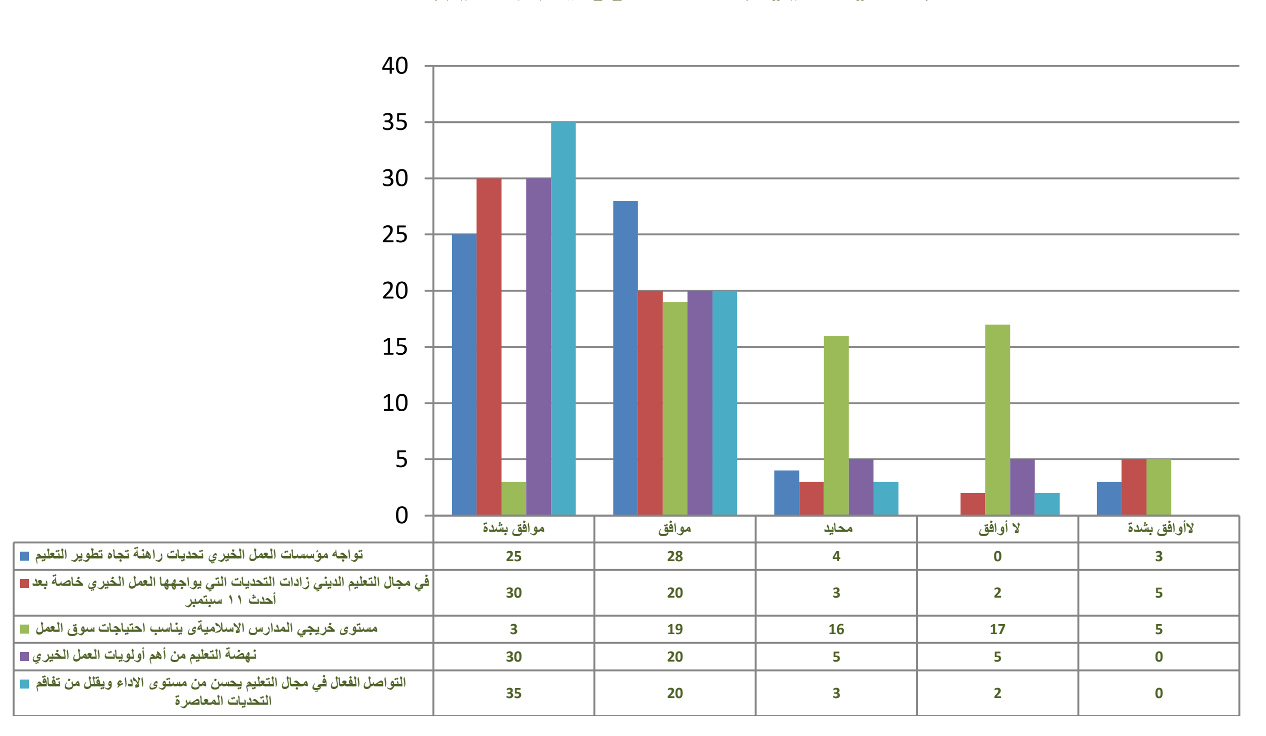


	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لأأوافق بشدة
تستخدم المؤسسات الخيرية التقنية في تطوير التعليم	17	25	10	8	0
التعليم الديني في تحسن مستمر واصبح يواكب التعليم العصري والخريجين منه على مستوى معرفي لائق	20	23	7	8	2
تنتهج المؤسسات الخيرية الجودة الشاملة في نهضة التعليم وتحسين مستواه	15	21	15	9	0
للتقنية الحديثة مكان بارز في مناهج التعليم الديني	25	15	9	7	4

شكـــل (٤)

□شكل يوضح إجابات أفراد عينة البحث وفقاً لمعيار

(التحديات التى يواجهها العمل الخيري فى مجال التعليم) □



	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لأأوافق بشدة
تواجه مؤسسات العمل الخيري تحديات راهنة تجاه تطوير التعليم	25	28	4	0	3
في مجال التعليم الديني زادات التحديات التي يواجهها العمل الخيري خاصة بعد أحدث ١١ سبتمبر	30	20	3	2	5
مستوى خريجي المدارس الاسلاميةى يناسب احتياجات سوق العمل	3	19	16	17	5
نهضة التعليم من أهم أولويات العمل الخيري	30	20	5	5	0
التواصل الفعال في مجال التعليم يحسن من مستوى الاداء ويقلل من تفاقم التحديات المعاصرة	35	20	3	2	0

□شكـــل (٥)

شكل يوضح إجابات أفراد عينة البحث وفقاً لمعيار

(مؤسسات العمل الخيري في الكويت ودورها في دعم التعليم)

	موافق بشدة	موافق	محايد	لا أوافق	لأوافق بشدة
مؤسسات العمل الخيري في الكويت لها خبرة كبيرة في قطاع التعليم وتديره بنظم مؤسسية محترفة	24	21	10	5	0
مؤسسات العمل الخيري في الكويت تنتهج الجودة الشاملة في دعم القطاع التعليمي لتطويره	14	30	10	6	0
لمؤسسات العمل الخيري في الكويت دور رائد في دعم الجهات الخيرية القائمة على المشاريع التعليمة	29	23	6	2	0
العمل الخيري في الكويت رائد في دعم القطاع التعليمي	25	25	8	2	0

شكــــل (٦)

جدول توضيحي لمعايير الاستبانة التي تم توزيعها على المؤسسات الخيرية المشاركة في النشاط التعليمي والمستفيدة من دعم المؤسسات الخيرية وخاصة من مؤسسات الدعم من دولة الكويت .

- معايير الاستبانة
- البنود الخاصة لكل معيار .
- أعداد الإجابات بعد تفريغ اجابات أفراد الاستبيان .
- الإجماليات .

م	المعيار	م	البيان	أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة	إجمالي
١	دعـــم المؤسسات الخيريـــة للقطاع التعـليمـي	١	للمؤسسات الخيرية دور كبير في دعم القطاع التعليمي	٣٣	٢٠	٤	٣	-	٦٠
		٢	تقدم المؤسسات الخيرية دعم سنوي لنهضة التعليم .	١٥	٢٥	١٠	٧	٣	٦٠
		٣	نتوقع زيادة الدعم المالي لتعليمي خلال المرحلة القادمة	٣١	٢٣	٣	٢	١	٦٠
		٤	لمؤسسات الخيرية دور كبير في تحسن وضع التعليم .	٣٤	١٥	٦	٤	١	٦٠
٢	نوع الدعم المقدم مـن المؤسسات الخيرية للتعليم	٥	يقتصر دعم المؤسسات الخيرية على دعم مراكز القرآن	١٠	١٣	٧	٢٦	٤	٦٠
		٦	تهتم المؤسسات الخيرية في دعم التعليم الفني والحرفي	١٣	٢٣	١١	١٢	١	٦٠
		٧	لا تفرق المؤسسات الخيرية بين التعليم الديني والنظامي	١٩	١٤	١٢	٩	٦	٦٠
٣	التعليم و ارتباطه بالتقنية الحديثة	٨	تستخدم المؤسسات الخيرية التقنية في تطوير التعليم .	١٧	٢٥	١٠	٨	-	٦٠
		٩	التعليم الديني في تحسن مستمر وأصبح يواكب التعليم العصري والخريجين منه على مستوى معرفي لائق .	٢٠	٢٣	٧	٨	٢	٦٠
		١٠	تنتهج المؤسسات الخيرية الجودة الشاملة في نهضة التعليم وتحسين مستواه .	١٥	٢١	١٥	٩	-	٦٠
		١١	للتقنية الحديثة مكان بارز في مناهج التعليم الديني .	٢٥	١٥	٩	٧	٤	٦٠
٤	التحديات التي يواجهها العمل الخيرية في مجال التعليم	١٢	تواجه مؤسسات العمل الخيرية تحديات راهنة تجاه تطوير التعليم .	٢٥	٢٨	٤	-	٣	٦٠
		١٣	في مجال التعليم الديني زادت التحديات التي يوجهها العمل الخيري خاصة بعد أحداث١١سبتمبر في أميريكا	٣٠	٢٠	٣	٢	٥	٦٠
		١٤	مستوى خريجي المدارس الإسلامية يناسب احتياجات سوق العمل.	٣	١٩	١٦	١٧	٥	٦٠
		١٥	نهضة التعليم من أهم أولويات العمل الخيري .	٣٠	٢٠	٥	٥	-	٦٠
		١٦	التواصل الفعال في مجالات التعليم يحسن من مستوى الأداء ويقلل من تفاقم التحديات المعاصرة .	٣٥	٢٠	٣	٢	-	٦٠
٥	مؤسسات العمل الخيـــري فـــي الكويت ودورها في دعم التعليم	١٧	مؤسسات العمل الخيري في الكويت لها خبرة كبيرة في قطاع التعليم وتديره بنظم مؤسسية محترفة .	٢٤	٢١	١٠	٥	-	٦٠
		١٨	مؤسسات العمل الخيري في الكويت تنتهج الجودة الشاملة في دعم القطاع التعليمي لتطويره .	١٤	٣٠	١٠	٦	-	٦٠
		١٩	لمؤسسات العمل الخيري في الكويت دور رائد في دعم الجهات الخيرية القائمة على المشاريع التعليمة	٢٩	٢٣	٦	٢	-	٦٠
		٢٠	العمل الخيري في الكويت رائد في دعم القطاع التعليمي	٢٥	٢٥	٨	٢	-	٦٠
			الإجماليات	٤٤٧	٤٢٣	١٥٩	١٣٦	٣٥	١٢٠٠

ـ ملاحظة : شارك في الاستبيان ٦٠ مؤسسة وجمعية خيرية من ٢٥ دولة على مستوى العالم .

(جدول ٢)

المقابلات الشخصية :

من خلال آراء عينة من اللقاءات الشخصية المباشرة مع قياديين ومسئولين في الجهات الخيرية الداعمة وجهات خيرية مستفيدة من الدعم ، حيث شملت اللقاءات ٢٠ شخصية من ١٧ جهة مثلت ١١ دولة عربية وغير عربية ، وفيما يلي تحليل للاستفسارات على عينة اللقاءات :

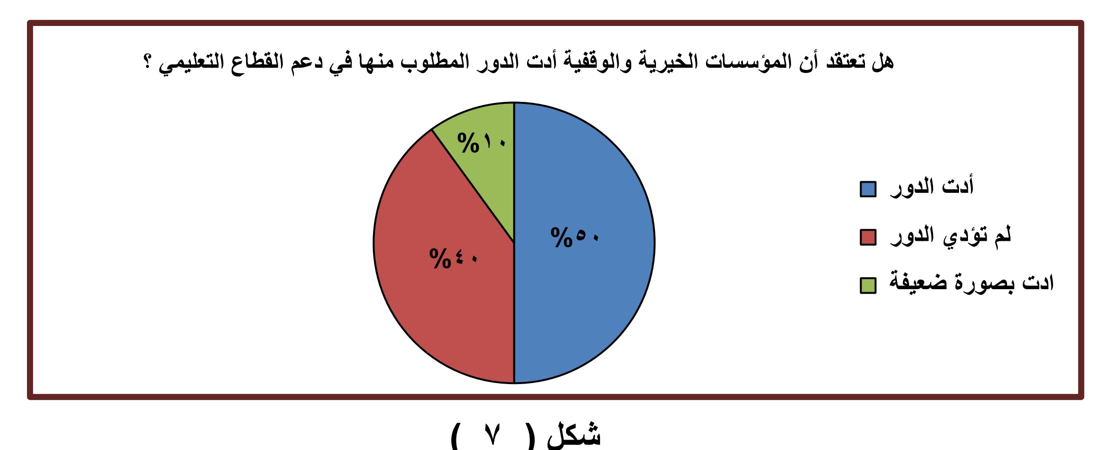
الاستفسار الأول :

هل تعتقد أن المؤسسات الخيرية والوقفية أدت الدور المطلوب منها في دعم القطاع التعليمي ؟

أفاد ٥٠ % من عينة اللقاءات الشخصية أن المؤسسات الخيرية والوقفية أدت الدور المطلوب منها في دعم القطاع التعليمي ، فيما أفادت نسبة ٤٠ % من العينة رأوا أن المؤسسات الخيرية والوقفية لم تؤد الدور المطلوب منها وكان هناك تقصير في دعم التعليم وتطويره وخاصة في المجتمعات الفقيرة فيما أشادت نسبة ١٠ % فقط من عينة اللقاءات بانجازات المؤسسات الخيرية والوقفية تجاه دعم وتطوير القطاع التعليمي وإنهم أدوا دور ممتاز تجاه ذلك .

ومن وجهة نظري كباحث أجد أن المؤسسات الخيرية والوقفية أدت دوراً جيداً تجاه دعم القطاع التعليمي إلا انه كان من الممكن تحسين الأداء بصورة أفضل ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب أبرزها عدم تثقيف الداعمين بأهمية التعليم وعدم التنسيق بين الجهات الداعمة لإنشاء مشاريع تعليمية كبرى في المجتمعات الفقيرة المتخلفة .

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



شكل (٧)

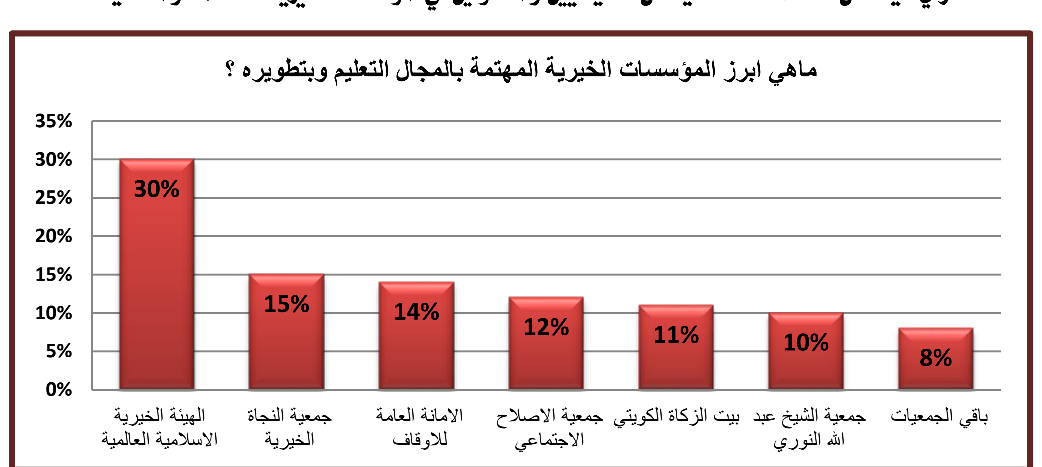
الاستفسار الثاني :

من وجهة نظرك ما هي ابرز المؤسسات الخيرية المهتمة بالمجال التعليمي وبتطويره ؟

تشير نتائج أراء عينة اللقاءات الشخصية أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية جاءت في مقدمة المؤسسات الخيرية والوقفية المهتمة بالمجال التعليمي وبتطويره حيث أشاد ٣٠ % من عينة اللقاءات بجهود الهيئة الخيرية في هذا المجال وأنها من ابرز المؤسسات الداعمة للتعليم و جمعية النجاة الخيرية حصلت على نسبة ١٥ % كونها من الجهات المهتمة بالمجال التعليمي وبتطويره وحصلت الأمانة العامة للأوقاف على نسبة ١٤ % ثم جمعية الإصلاح الاجتماعي على نسبة ١٢ % ، بيت الزكاة الكويتي على نسبة ١١ % ، جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية على نسبة ١٠ % ، وباقي الجهات مجتمعة ٨ % .

ومن وجهة نظر الباحث كونه يعمل في العمل الخيري فأن جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي افريقيا) كانت ولا تزال من المهتمين بالمجال التعليمي وكان لها بصمة واضحة في إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات في مختلف دول القارة الإفريقية ، حيث لم يشار إليها (جمعية العون المباشر) في آراء عينة البحث .

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



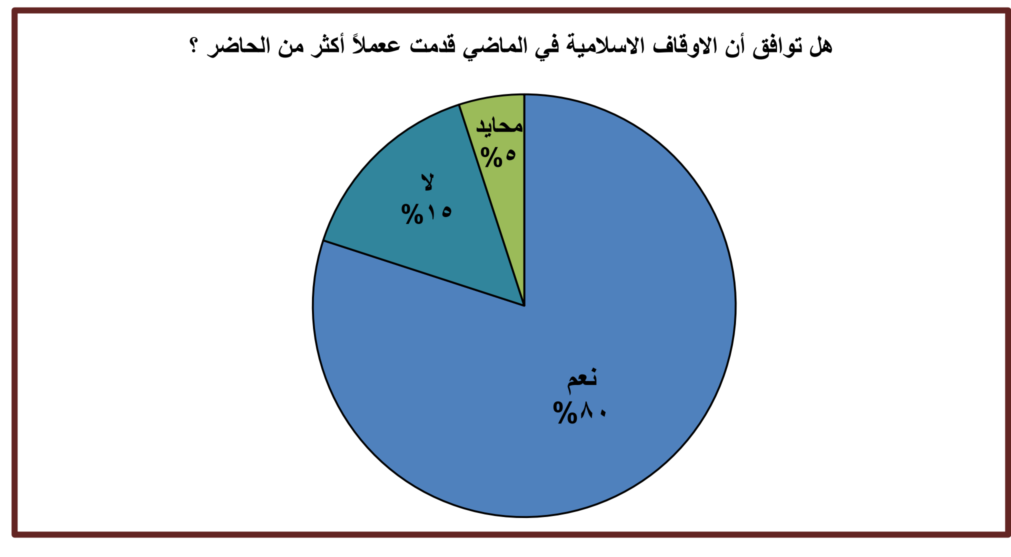
شكل (٨)

الاستفسار الثالث :

هل توافق أن الأوقاف الإسلامية في الماضي قدمت دعماً للتعليم دعماً أكثر من الحاضر ؟

نسبة ٨٠ % من عينة اللقاءات الشخصية أكدوا أن الأوقاف الإسلامية في الماضي قدمت دعماً أكثر للقطاع التعليمي مما قدمته الأوقاف في الوقت الحاضر ، ونسبة ١٥ % رأيهم أن الأوقاف الإسلامية في الحاضر كانت أكثر أهتماماً من الأوقاف في الماضي ، ونسبة ٥ % من عينة اللقاءات رأت أن الأوقاف في الماضي والحاضر قدمت دعماً سخيا للتعليم ولكن في الماضي كانت الحاجة اقل من الحاضر بسبب قلة السكان وعدم الاهتمام بالتعليم كما في الحاضر .

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



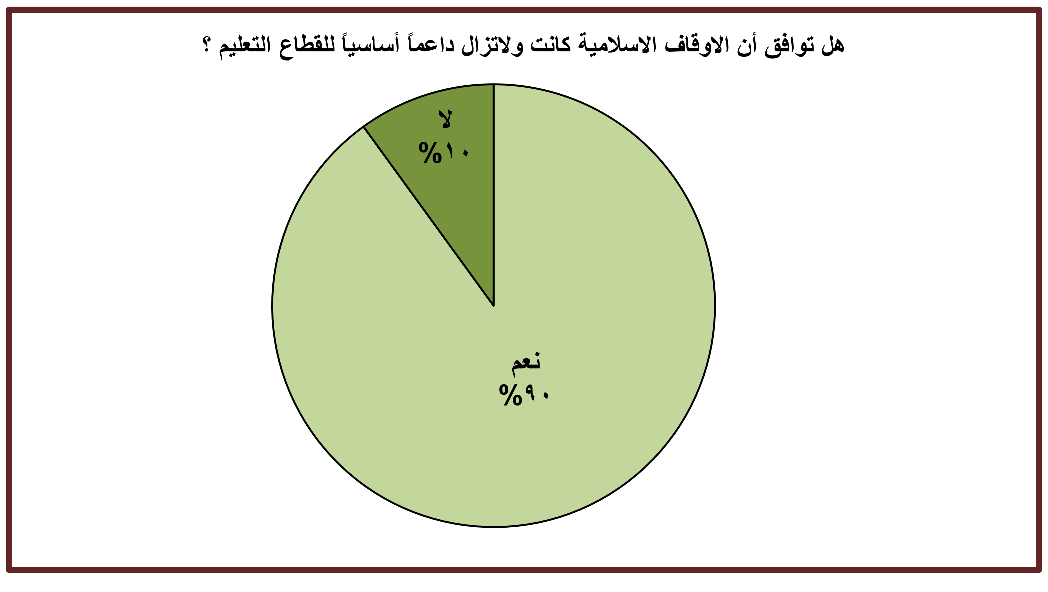
شكل (٩)

الاستفسار الرابع :

هل توافق أن الأوقاف الإسلامية كانت ولا تزال داعماً أساسيا للقطاع التعليمي ؟

يرى ٩٠ % من عينة اللقاءات الشخصية أن الأوقاف الإسلامية كانت ولا تزال داعماً أساسيا للقطاع التعليمي مستشهدين بذلك بأوقاف الأزهر الشريف في مصر والذي يمتلك أراضي شاسعة ومباني عديدة ومصانع يعود عائدها الوقفي على تعليم الطلبة وخاصة المنح الدراسية المجانية كما ينفق من هذا العائد أيضا على تطوير المباني و الكوادر التعليمة والإدارية ، مستشهدين أيضاً بوقف الزيتونة في تونس والأوقاف الإسلامية في تركيا والهند وغيرها من البلاد الإسلامية ، فيما يرى ١٠ % فقط من عينة اللقاءات أن الأوقاف لم تكن داعماً أساسيا للقطاع التعليمي وإنما شارك الوقف في هذا الدعم نسبة كبيرة من المؤسسات الخيرية وأهل الخير من المتبرعين .





شكل (١٠)

الاستفسار الخامس :

هل لديكم مقترحات يمكن أن تساهم في تطوير التعليم (اذكر بعضها) ؟

جميع عينات اللقاءات المباشرة قدموا مقترحات هامة تساهم في تطوير التعليم ومنها :

١- التركيز على إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات وخاصة في المجتمعات الفقيرة .

٢- مشاركة الجهات الداعمة في إنشاء كيان وقفي كبير يخصص عائده الدوري لصالح إنشاء وتطوير المشاريع التعليمة فقط .

٣- زيادة الاهتمام بكفالات المدرسين والطلبة والكوادر الادارية العاملة في القطاع التعليمي .

٤- تطوير المناهج بما يتناسب مع المناهج العصرية وعدم الاقتصار على المناهج الدينية فقط .

٥- إنشاء جهات رقابية تهتم بمتابعة ومراقبة المؤسسات التعليمية المدعومة من المؤسسات الخيرية والوقفية على ان تكون المتابعة بصورة دورية ورفع تقارير بالنتائج والتوصيات .

٦- فصل العمل الخيري والعاملين فيه عن العمل السياسي .

٧- الاهتمام بالتعليم الفني والاستفادة من دراسات الطلبة في هذا المجال بعد التخرج .

٨- استخدام التكنولوجيا الحديثة في المدارس والمعاهد والجامعات .

٩- تنسيق جهود المؤسسات الخيرية وتبادل المنفعة والخبرات فيما بينها .

١٠- زيادة المنح والبعثات الدراسية وخاصة في مستوى التعليم الجامعي .

١١- تعزيز دور المعلمين وتدريب الكوادر التعليمية .

١٢- تحديد احتياجات الدول الفقيرة فيما يخص القطاع التعليمي ومن ثم إعداد خطط تنفيذية للعمل على توفير هذه الاحتياجات .

١٣- عقد مؤتمرات دولية تهتم بعرض مشاكل وحلول القطاع التعليمي في المجتمعات الفقيرة تنظيم أنشطة وبرامج تسويقية للمشاريع التعليمة لتوفير داعمين لها .

١٤- تكثيف الزيارات الميدانية للمناطق الفقيرة للوقوف على ارض الواقع ونقل مدى الحاجة وعرضها على الجهات الداعمة .

١٥- العناية بالمشاريع الإنتاجية والتي تعود دخولها لتطوير التعليم .

١٦- الاهتمام بتعليم الفتيات .

١٧- دمج التعليم الديني مع التعليم النظامي لضمان رفع مستوى الطالب علمياً .

١٨- تثقيف المتبرعين وحثهم على التبرع للمشاريع التعليمة .

١٩- الاستعانة بالقيادات الشابة في المؤسسات الخيرية والوقفية داعمة ومستفيدة .

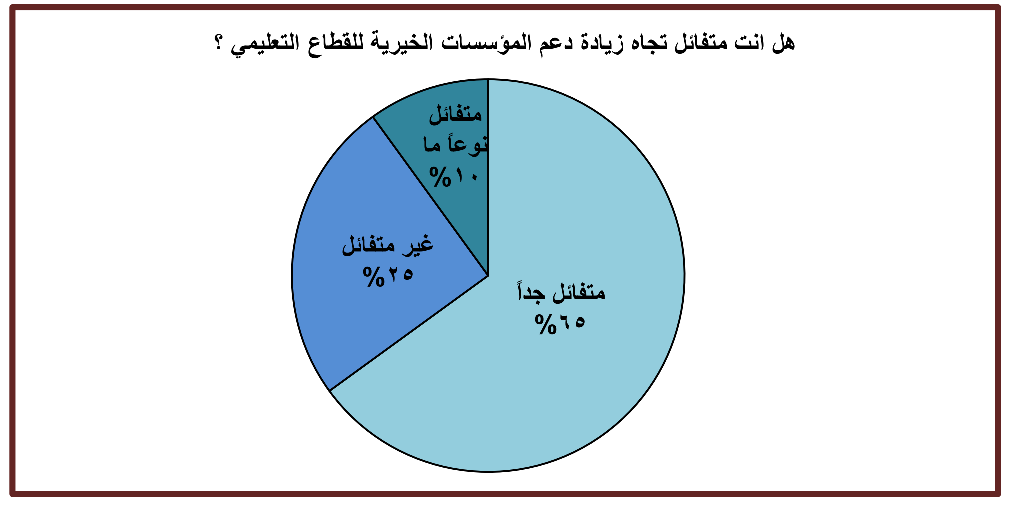
ويرى الباحث أن هذه المقترحات هامة وسيكون لها دور كبير في تطوير القطاع التعليمي وخاصة في المجتمعات الفقيرة إذا أخذ بها وعلى المؤسسات الخيرية داعمين أو مستفيدين دراسة هذه المقترحات للاستفادة منها .

الاستفسار السادس :

هل أنت متفائل تجاه زيادة دعم المؤسسات الخيرية للقطاع التعليمي ؟

تشير نتائج أراء عينة اللقاءات الشخصية بأن نسبة ٦٥ % ممن تم الالتقاء بهم متفائلين جداً تجاه زيادة دعم المؤسسات الخيرية للقطاع التعليمة ويرجع هذا إلى أن المؤسسات الخيرية في الآونة الأخيرة اهتمت بدعم التعليم العام وليس الديني فقط بل وكان هناك توجيهات للمؤسسات بالاهتمام بتدريس الطلبة العلوم العصرية والتكنولوجيا الحديثة بجانب العلوم الدينية ، أما ٢٥ % من عينة اللقاءات كانت غير متفائلة تجاه دعم المؤسسات الخيرية ، ونسبة ١٠ % من عينة البحث يرون أن الواقع الحالي لم يتغير عن الماضي والمستقبل وان الوضع سوف يسير كما هو عليه .

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



شكل (١١)

الاستفسار السابع :

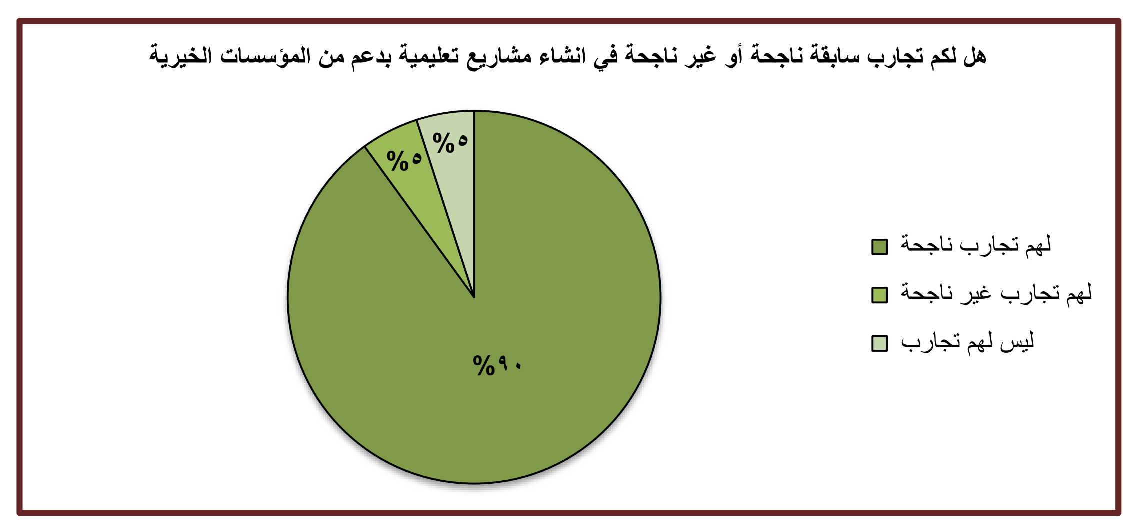
هل لكم تجارب سابقة ناجحة(أوغير ناجحة)في إنشاء مشاريع تعليمية بدعم من المؤسسات الخيرية ؟

أشارت نسبة ٩٠ % من عينة اللقاءات كان لها تجارب ناجحة في إنشاء مشاريع تعليمية بدعم من المؤسسات

الخيرية والوقفية وبعض هذه المؤسسات خرجت أكثر من ٥٠٠ الف طالب وطالبة خلال عاماً من العطاء والبعض الآخر من هذه المؤسسات أنار ظلام الجهل بنور العلم في قرى كاملة كانت متخلفة وتواصلت الجهود مع هذه القرية إلى أن تخرج منها طلبة في الجامعات ، ونسبة ٥ % من المؤسسات كانت لها تجارب غير ناجحة في إنشاء وتشغيل المشاريع التعليمة ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى عدم توافر الموارد المالية لتشغيل المدارس والإنفاق على رواتب الكادر التعليمي ، كما أشارت نسبة ٥ % من المؤسسات أفادت بأنهم لم يسبق لهم تجربة إنشاء مشاريع تعليمية .

ويؤكد الباحث وفق طبيعة عمله وخبرته في المؤسسة الخيرية التي يعمل بها أن لمؤسسته تجارب كثيرة ناجحة في إنشاء المشاريع التعليمية كالمدارس النموذجية والجامعات داخل وخارج الكويت ومعظمها في الدول الفقيرة ، وقد خرجت هذه المؤسسات التعليمة قادة في بلادهم منهم السفراء والوزراء وأساتذة الجامعات والعلماء

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



شكل (١٢)

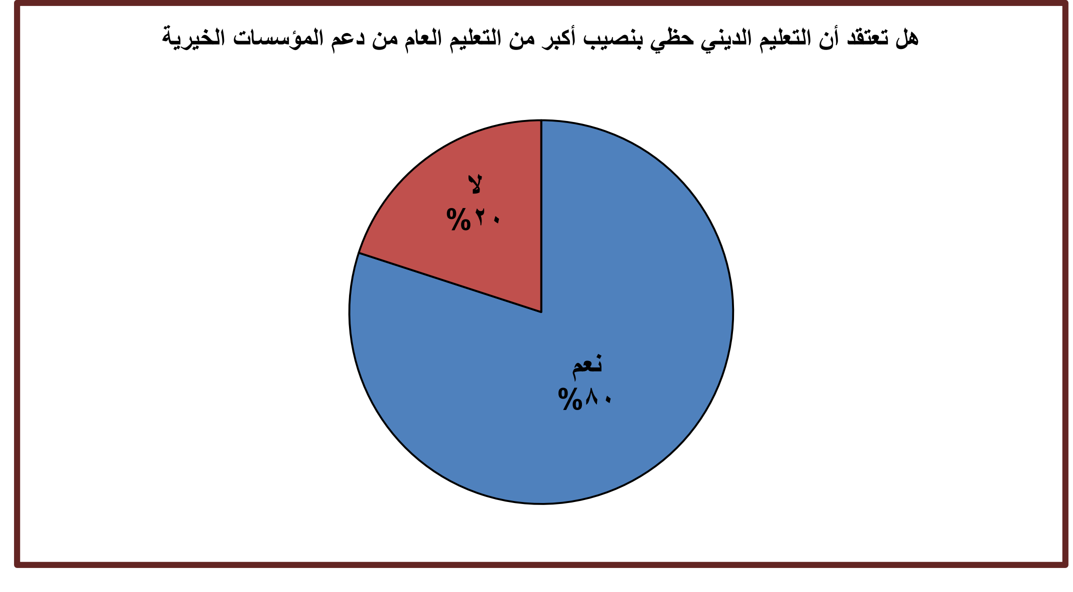
الاستفسار الثامن :

هل تعتقد أن التعليم الديني حظي بنصيب أكبر من التعليم العام من دعم المؤسسات الخيرية والوقفية ؟

يرى ٨٠ % من عينة البحث أن التعليم الديني نال النصيب الأكبر من دعم المؤسسات الخيرية والوقفية ، ٢٠ % من عينة البحث يرون أن التعليم الديني لم يكن أوفر حظاً من التعليم العام (النظامي) .

ومن وجهة نظر الباحث فأن الوقت الراهن والمستقبل يبشران بأن المؤسسات الخيرية والوقفية يتجهان إلى المزيد من دعم القطاع التعليمي في المجتمعات الفقيرة أخذين في الحسبان ضرورة تطوير مناهج المدارس والجامعات الدينية لتشمل العلوم العصرية ويكون خريج هذه المدارس والجامعات على مستوى علمي لائق وثقافة دينية مناسبة .

رأي عينة من اللقاءات الشخصية من القياديين والمسئولين في المؤسات الخيرية الداعمة والمستفيدة



شكل (١٣)

٣/١: القضاء على الفقر والأمية والأمراض:

إن المؤسسات والجهات العلمية المتخصصة لديها القدرة على التخطيط العملي السليم والمنهج، الذي يواكب كل الظروف وكل الأحوال التي تعيشها الدول؛ مما يساهم في القضاء على الأزمات، وحل المشكلات الأكثر تعقيداً، إذا اعتمدت هذه الأنواع من التعاونيات والشراكات بين الجهات الخيرية والتعليمية ومراكز البحث العلمي ، فمراكز الأبحاث المتخصصة لديها القدرات الهائلة على توظيف الإمكانات الخيرية بالشكل الذي يحقق الغرض والنفع الاجتماعي العظيم، الذي يحقق للمجتمعات أسباب النهضة، فعندما تريد الجهات الخيرية -بمؤسساتها وجمعياتها- القضاء على الأمية والجهل، فإن المؤسسات التعليمية لديها القدرة الكبيرة على وضع الخطط النموذجية التي تستطيع من خلالها القضاء التام على الأمية إذا توافرت الإمكانيات، ولديها كذلك القدرات الكبيرة على التأهيل لسوق العمل، وإنتاج دراسات الجدوى الخيرية، بما يجعل المتعطلين يخترقون أسواق العمل بمشروعاته الصغيرة أو الكبيرة على السواء.

وكذلك فإن الجهات البحثية لديها القدرة على المساهمة في المكافحة والقضاء على الأمراض، بما لديها من كوادر مؤهلة تأهيلاً جيداً، تستطيع -إذا توافرت لديها الإمكانيات المادية- العمل البحثي الجاد لمكافحة الأمراض، واختراع الأمصال والأدوية التي تستطيع الاعتماد عليها في استعادة المرضي لصحتهم، والقضاء على كافة أنواع المشكلات التي تعاني منها الدول الإسلامية، وهو ما يعني تحقق أسباب التنمية الاجتماعية والإنسانية المستدامة.

٤/١: دعم منظومة العمل الخيري:

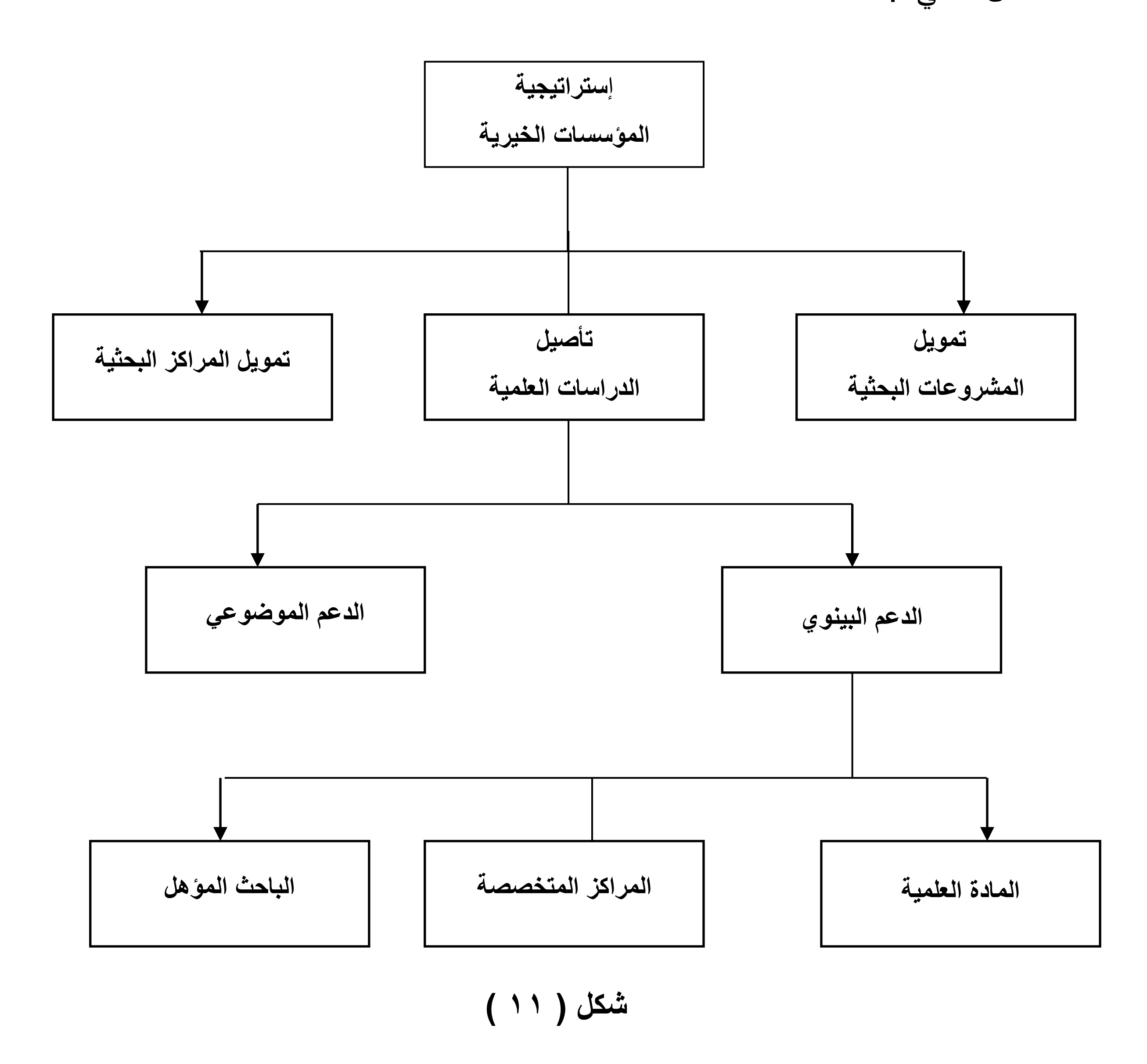
لا جدال أن الجمعيات والمؤسسات الخيرية ، بما فيها من مؤسسات الوقف والزكاة أنها ساهمت بشكل كبير في دعم جوانب التعليم المختلفة وخاصة في مجال البحث العليم .

وكذلك المؤسسات العلمية والبحثية بما لديها من إمكانيات وموارد وكوادر مؤهلة على أعلى المستويات، فإنها لديها كل القدرات على تقديم الصورة النموذجية الأقرب للكمال، واستغلال أقل الإمكانيات الممكنة لتحقيق الإفادة الأكبر والأثر العظيم الذي يحقق أفضل النتائج، فمراكز الأبحاث والمؤسسات العلمية المتخصصة لديها القدرات العلمية الحقيقية التي تستطيع بها السعي نحو الإشباع والكمال الاجتماعي، وهو أهم ما تسعى إليه كل

الجهات على الإطلاق، سواء أكانت خيرية أم حكومية أم تربوية أم اقتصادية أم تعليمية، ففكرة الإشباع والكمال هي الفكرة الرئيسة التي يدور كل شيء حولها من أجل تحقيقها .

٥/١ :استراتيجيات المؤسسات الخيرية في تمويل المشروعات العلمية والمراكز البحثية

تقوم المؤسسات الخيرية بوضع استراتيجيات هامة ومحددة لدعم وتمويل المشروعات العلمية البحثية وكذلك المراكز البحثية العلمية وبرغم وجود بعض الاختلافات البسيطة في الهيكل العام لهذه الإستراتيجيات إلا أن الشكل العام لها يكاد يكون موحد كما نوضحه في الشكل التالي :



شكل (١١)

١/٥/١: إستراتيجية تمويل المشروعات البحثية :

في المراحل المبكرة لنشاط المؤسسات الخيرية قامت تلك المؤسسات في أماكن كثيرة في العالم مثل الكويت والسودان وماليزيا والهند (هذه الأماكن التي سوف ندرس منها دور المؤسسات الخيرية في دعم التعليم وتجاربها الوقفية) في تمويل كثير من المشروعات البحثية والتي تخدم الإنسانية بصفة عامة والتعليم بصفة خاصة. مثل الاهتمام بالقضايا التعليمية الدولية وانعكاس هذه القضايا على معظم الدول في العالم ومثال ذلك قضية محو الأمية فقد قامت المؤسسات الخيرية بدعم محو الأمية في دول العالم الثالث حيث خصصت مؤسسة فورد الأمريكية العالمية ١٠% من مصروفاتها السنوية على قضايا محو الأمية في دول العالم الثالث حيث قامت بدعم المنظمات التعليمية الأهلية التي تقوم بمحو الأمية.

٢/٥/١: تأصيل الدراسات التعليمية في الجامعات:

بدأت المؤسسات الخيرية في دعم الدراسات التعليمية في الجامعات في مراحل مبكرة من نشاطها وقد انقسم هذا الدعم تاريخنا إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى ، الدعم البينوي ، المرحلة الثانية ، الدعم الموضوعي واهتمت المؤسسات الخيرية في مرحلة الدعم البينوي بتمويل محاولات استكشافه عن حالة هذا الحقل المعرفي، وكثيف جهود تطوير البنية التحتية لحقل الدراسات التعليمية المتمثلة في المراكز المتخصصة، والمناهج الدراسية، تدريب الكوادر البحثية القادرة على النهوض به، فضلاً عن تكوين قاعدة بيانات متجددة للباحثين تربط بين الدراسات التعليمية بالعلوم التطبيقية والتقنية كأحد الجوانب المهمة والمكملة للتحليلات العلمية.

ومنذ بداية السبعينات اهتمت المؤسسات الخيرية بالتركيز على الدعم الموضوعي من خلال تمويل عديد من المشروعات البحثية المهمة بموضوعات محددة لنهضة التعليم.

٣/٥/١: الدعم البنيوي: المادة العلمية، المراكز البحثية المتخصصة، والباحث المؤهل.

*** المادة العلمية :**

سعت المؤسسات الخيرية في دول العالم لاستكشاف الحالة المعرفية لحفل الدراسات العلمية في الجامعات كمرحلة أولية لتطوير مواد علمية، وتطوير مناهج دراسية تكون بمناسبة نواة يرتكز عليها التراكم المعرف من خلال المنح التي تقدمها المؤسسات الخيرية ودعمها كذلك

للندوات والحلقات النقاشية التي تهتم بتطوير برمناهج التعليم في الجامعات من خلال إضافة مواد تعليمية جديدة ومستحدثة تلائم المستجدات التعليمية العصرية وكل ذلك يهدف في تطوير مناهج للبحث والدراسة في جامعات كثيرة.

كما قامت المؤسسات الخيرية من خلال دعمها للتعليم الجامعي بدعم الترابط بين العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية من جانب والربط بينهما وبين العلوم الأكاديمية العالمية في محاولة للنهوض بالتعليم في كل دول العالم.

*** المراكز البحثية المتخصصة:**

تسهم المؤسسات الخيرية في دول العالم في تأسيس عدد من المراكز البحثية المتخصصة في برامج التعليم وإعداد المناهج التعليمية والقيام بالإيجاب التي تخدم العملية التعليمية في العالم بالإضافة إلى تقديم الدعم للمراكز البحثية المهمة الموجودة بالفعل.

فعلى سبيل المثال قدم مؤسسة فورد الأمريكية منح منذ السبعينات إلى الآن قاربت على ١٥٠ مليون دولار إلى مراكز بحثية مثل المراكز البحثية في جامعة هارفارد وعديد من الجامعات في دول العالم.

كذلك تسد الاحصائيات إلى أن مؤسسة فورد قامت في العدد ١٩٧٣ إلى ٢٠١٠ بتقديم ٥٠ مليون دولار لتعديه البحث العلمي والتدريب في مراكزالبحثية في كثيرمن دول العالم

*** تدريب الكوادر البحثية:**

أهتمت المؤسسات الخيرية في دول العالم بالاهتمام بإعداد الكوادر البحثية المتميزة في مجالات الدراسات التعلمية المختلفة وركزت على تأهيل الباحثين للعمل في المؤسسات البحثية العلمية التي تغير البحوث العلمية في المجالات التي تخدم البشرية كمراكز الأبحاث الطبية والهندسية والزراعية ولقد عملت المؤسسات الخيرية على تحقيق التكامل بين التأهيل الإكاديمي والخبرة التطبيقية بالإضافة إلى الجمع بين الباحثين المهتمين بالبرامج التعليمية وغيرهم المتخصصين في البرامج العلمية (٨٢).

---

(٨٢) FFAR. Wew. 2010 pata, 1971 p33.

٤/٥/١: الدعم الموضوعي :

ركزت المؤسسات الخيرية بمعظم دول العالم في تمويل موضوعات بحثية مرتبطة بقضايا معينة مثل الإنفاق على قضايا محو الأمية، والإنفاق على القضايا دعم الأقليات المسلمة في دول العالم فنجد الجمعيات الخيرية في الدول الإسلامية تقوم بأعمال جليلة للأقليات المسلمة لتطور التعليم الخاص بهم مثل إنشاء المدارس والجامعات ودعم قضايا التعليم في هذه الدول ويدل على ذلك ما تقوم به الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت من إنشاء الكثير من المدارس والمعاهد والجامعات في دول أفريقيا وجنوب شرق أسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك ما تقوم مؤسسة فورد الأمريكية بدعم قضايا التعليم في دول العالم الثالث من خلال تقديم منح محو أمية الكبير من دول العالم الثالث التي ينتشر فيها الأمية وكذلك دعم قضايا تطوير التعليم في دول العالم الثالث بما يتواكب مع التعليم وجودته في الدول المتقدمة.

٥/٥/١: تمويل المراكز البحثية المستقلة :

اهتمت المؤسسات الخيرية في كثير من دول العالم بتمويل المراكز البحثية المستقلة والتي تعتبر خارج الجامعات، لما لها من دور متميز في الاهتمام بقضايا التعليم والعمل على تطويره من خلال إعداد العديد من البحوث العلمية التي تهدف إلى تشجيع التعليم في دول العالم الثالث وحيث تقوم هذه المراكز البحثية بتقديم العديد من الدورات التدريبية للعاملين في الحقل العلمي بهدف زيادة قدرتهم التعليمية وإكسابهم الكثير من المهارات التي تجعلهم يواكبوا التطورات التعليمية في دول العالم المتقدم ، لذا اهتمت المؤسسات الخيرية بتمويل هذه المراكز البحثية للعمل على تطويرها والنهوض بها من أجل الاستفادة بها في تطوير مناهج التعليم في المدارس والجامعات.

المبحث الثاني

نبذة تاريخية عن الوقف ودوره في دعم المؤسسات التعليمية

لقد انتظم الوقف عموماً عيناً ونفعاً بعد عصور الخلفاء الراشدين، وخصوصاً في العصر الأموي، وقد قام القاضي توبة الحضرمي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ٨٧هـ/٧٠٥م بتنظيم ديوان مستقل للوقف، ثم توسع الأمر وازدهر بإيقاف الأموال على التعليم والثقافة خصوصاً في عهد العباسيين ومن جاء بعدهم.

وغدت ميزانية الأوقاف في كثير من الأوقات تنافس ميزانية السلطة الحاكمة أو مؤسسة الخلافة، بل وصل الأمر إلى أن تقوم مؤسسة الخلافة بالاقتراض من خزينة الوقف، فقد استشار الصالح بن أبي الصبر(٨٣) أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف، في تبييض صومعة القرويين وإصلاحها، فأذن له وأمره أن يأخذ من أموال أعشار الروم، ثم قال له: "إن في مال الأحباس ما فيه كفاية إن شاء الله"(٨٤).

بل ولكثرة الأموال الوقفية زاد الاحتياط على حمايتها، فكان المستودع عبارة عن بيت حصين بابه مسلح بالنحاس، وفيه صناديق متينة توضع بداخلها الأموال لتصرف على شئون المساجد وغيرها من مصاريف الوقف، ولما تطور الأمر وتحسنت أساليبه وانتظمت أموره زاد إعجاب التجار المسلمين به، فالتمسوا وضع أموالهم وإيداعها في هذا المستودع الوقفي (٨٥).

فكان للوقف بجانب دوره البارز في دعم كافة مؤسسات الدولة ودور الخدمات العامة وغيرها بصور مختلفة ومتباينة، كان له دوراً بارزاً أيضاً في دعم المؤسسات التعليمية والثقافية كالمدارس والمساجد والمكتبات.

---

(٨٣) إمام وقاضي جامع القرويين688 هـ.

(٨٤)الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط – المغرب، ١٩٧٢، ص٥٧ . وانظر: الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد الله، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٩٩٦، ١٩٩/٢.

(٨٥) المرجع السابق، ١٩٩/٢.

حتى ذكر ابن خلدون(٨٦) جانبًا من اهتمام المحسنين بالوضع التعليمي، إذ يقول: "ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف"(٨٧).

ويذكر ابن بطوطة كذلك: "أن العشرات من المدارس ذات المستوى الابتدائي والجامعي كانت قائمة على أموال الوقف، وأن الأموال الموقوفة قد فاضت على الطلبة المنتسبين لها".

وقد استهل الوقف التعليمي والثقافي في المجتمع الإسلامي عن طريق المساجد والكتاتيب بصورة بدائية؛ نظرًا لمحدودية الأدوات والإمكانات في ذاك الزمان، وكانت الانطلاقة من ساحات المسجد وأروقته ثم إلى الكليات والمؤسسات الجامعية.

وخلال السطور التالية سوف نتناول تاريخ المال الوقفي في دعم مؤسسات الدولة التعليمية والثقافية؛ وذلك بالحديث عن مؤسستين بارزتين في المجتمع الإسلامي لهما علاقة وطيدة بالنهضة العلمية في المجتمع، وهما مؤسسة التعليم متمثلة في "المساجد والمدارس والجامعات" وأيضاً مؤسسة الثقافة متمثلة في "المكتبات ودور الكتب".

- فالمساجد؛ باعتبارها تمثل مراكز علمية وثقافية في آن واحد، هذا فضلاً عن دورها الاجتماعي والسياسي ، حيث أنه لم يكن المسجد بأي حال من الأحوال مخصصاً للعبادة فقط، وإنما واجهة علمية وثقافية وحضارية في المجتمع الإسلامي.

- أما المدارس؛ فيأتي الاهتمام بها من النظرة الأصلية للعلم وأهميته، وقد تم تعضيد هذا الأمر خصوصا في الفترة التي انشغلت بها السلطة الحاكمة –الخلافة- بالعالم الخارجي من خلال مجال الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام والدفاع عن حياض الديار الإسلامية من الأعداء، لذا قام أهل الخير بسد هذه الثغرة عن السلطة الحاكمة من خلال الإكثار من زيادة الوقف على مجالات التعليم.

- بينما المكتبات؛ فلتكتمل الصورة المثلى للوقف في تنميته للمجتمع ورفده لحاجاته الأساسية كانت أموال الأوقاف تخصص للمكتبات والزوايا ودور الكتب وغيرها؛ في سبيل إيجاد سياسة عامة تهدف لخلق جيل مثقف واع.

---

(٨٦) عالم الاجتماع ٨٠٨هـ.

(٨٧) مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص٤٣٧.

١/٢: مؤسسات التعليم الوقفية "المدارس والجامعات":

لقد بدأ الوقف مسيرته التنموية بدعم مؤسسات التعليم في المجتمع الإسلامي عن طريق المساجد والكتاتيب بصورة بدائية؛ نظرًا لمحدودية الأدوات والإمكانات في ذاك الزمان، وكانت الانطلاقة من ساحات المسجد وأروقته، والمسلم مجلسه العلمي كان مسجده.

ومن يتمعن في أساسيات انطلاقة فنون العلوم الشرعية كقراءة القرآن ودراسة الحديث والفقه يجد أن أساس مكانه هو المسجد، وقد اشتهرت الكثير من المساجد على مدار التاريخ الإسلامي بأنها قلاع علميـة كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وقد تخرج الكثير من العلماء من ساحات هذه المساجد.

فالشافعي ٢٠٤هـ عندما بدأ يفتي للناس ويعلمهم الدروس كان هذا في الحرم المكي. والجويني٤٧٨هـ الذي سُمي لاحقًا بـ "إمام الحرمين"؛ لملازمته الحرمين. والزمخشري ٥٣٨هـ الذي اعتكف في المسجد الحرام مدة طويلة وتخرج على يديه الكثير من العلماء، وغيرهم الكثير.

وهذه سمة علماء الأمة الإسلامية سابقًا، وعلى حد وصف الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ عن بعضهم أنهم: "كانوا يصلون العشاء الآخرة، ثم يجلسون فيتطارحون الفقه، وربما أذن المؤذن الفجر ولم يتفرقوا"(٨٨).

بل وصل الأمر إلى جعل قدسية المسجد مؤثرة في تحصيل العلم، إذ طُرح سابقًا قولهم: "فضل تدريس الفقه في المسجد"، أي أن الناس كانت مجالسها العلمية والدراسية هي المساجد(٨٩).

كما كانت تسمى المدارسات التي تعقد بالمسجد باسم الجلسات أو الحلقات، وهو اجتماع التلاميذ حول الشيخ في المسجد، وكل حلقة كان يدرس بها علم معين كالفقه أو التفسير أو النحو، كحلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأوقات هذه الحلقات أو الجلسات حسب اتفاق المدرس مع تلاميذه، لكن غالباً ما كانت تعقد متلازمة مع أوقات الصلوات.

ونظراً لزخم المادة العلمية المقدمة في هذه المساجد، أصبحت تسمى الأخيرة بأسماء مدرسيها، فقد كان المسجد الواقع في طريق سفرون ببغداد يسمى باسم الشافعي، والمسجد

---

(٨٨) الخطيب الفقيه والمتفقه، البغدادي، تحقيق :عادل الغزازي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٩٩٦، ٢/٢٧٠.

(٨٩) المرجع السابق، ٢/٢٧٠.

الذي يدِّرس فيه النحوي الكسائي 189 هـ سمي باسمه، وهكذا حال مسجد عبد الله بن المبارك ١٨١هـ، وكان الكثير من المدرسين في بدايات الحياة العلمية عند المسلمين يقيم في المسجد أو بجواره.

بل وصل الأمر أن تهيأت الظروف والأماكن بكل الخدمات والاحتياجات للعباد للتفرغ للعبادة وطلب الآخرة، إذ على حد وصف ابن جبير ٦١٤هـ أن "الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد -يعني دمشق- لأنهم كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفّرغ خواطرهم لعبادته من الفكرة في أسباب المعايش"(٩٠).

وتطور الأمر رويدًا رويدًا، حتى أصبحت المساجد تضم في مساحاتها مدارس للتعليم، ففي دمشق كان الكثير من المدارس التي أُقيمت في داخلها مساجد أو العكس.

أي انتقل التعليم الإسلامي من المسجد -وهو المرحلة الأولى-، ولظروف المسجد الخاصة والقيود الشرعية عليه، والتي حالت دون تكيفه مع متطلبات العملية التعليمية المتأخرة، وخصوصًا أن الغاية والأساس الأول منه العبادة.

ثم تطور الأمر تدريجياً، حتى أقيم ما عُرف لاحقاً باسم "الخان"، -وهذه المرحلة الثانية- وهو عبارة عن فندق أو نزل في المدينة أو في الصحراء أو الطرق البرية يستخدم غالباً كمأوى ومنزلاً لطلبة العلم القادمين للتعلم، وكانت أغلب الخانات تُدار بأموال الوقف التي أوقفت للتعليم، وغالباً ما تقابل المسجد أو المدرسة، كما فعل تاجر ميسور اسمه "دَعْلج السجستاني" ٣٥١هـ بوقف خان لطلبة العلم الشافعية استمر حتى ٥٢١هـ/١١٢٧م، وكان يقيم في الخان طلبة تتراوح أعدادهم ما بين ١٠-٢٠ طالباً"(٩١) .

وسُمي لاحقًا بالمجمع، وهو مكان تواجد المسجد مع الخان الذي انتشر على نطاق واسع في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كما فعل دعلج السجستاني الذي اهتم بهذا الإطار التعليمي فأكثر من بنائه في بغداد ومكة وسجستان، ومثله قام بدر بن حسنُويه الذي استلم الولاية بعد ولاية أبيه ٣٦٩هـ ببناء ثلاثة آلاف مجمع للمساجد مع خاناتها، وكانت تقدم في هذه الخانات كل الخدمات المجانية للطلبة، من طعام وشراب ومسكن، كما كانت قطعية

---

(٩٠) رحلة ابن جبير، مرجع سابق ص٢٣١.

(٩١) نشأة الكليات، معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، جورج المقدسي، ترجمة محمود سيد، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ١٩٩٤، ص٣١.

الربيع- وهي حارة مزدحمة ببغداد- تكثر فيها مجمعات المساجد والمدارس لطلبة الحنفية والشافعية، إلى جوار الخانات للسكنى لهم (٩٢).

وتطور الأمر، حتى أصبحت بعض المؤسسات التعليمية تتألف من مسجد وضريح أحد الأولياء، وخصوصاً إذا كان هذا الولي عالمًا أو صاحب مذهب معتبر، كما كان في "مدرسة ومشهد أبي حنيفة"، التي كانت تنافس المدرسة النظامية الشافعية، علمًا أن كلا المدرستين أنشأتا عام459 هـ/1067م في بغداد (٩٣).

ثم المرحلة الثالثة، وهي استقلالية المدرسة، وغالبًا ما بدأت تظهر المدارس - أو ما يسمى في اصطلاحنا الحديث بالكليات الجامعية- بعد إقامة المدرسة النظامية ببغداد. لكن ومع تقدم الأمة الإسلامية ورقي حضارتها بدأت تنتشر المعاهد المتشابهة أو المدارس الأهلية – ونقصد بالأهلية أنها كانت قائمة على الأهالي والأوقاف بقدر كبير غير خاضعة لمؤسسة الخلافة وخصوصًا في القرن ٦هـ/١٢م- وغالبًا ما كانت توقف هذه المدارس بالقرب من المساجد -كما يذكر ابن جبير في رحلته المشهورة(٩٤)-، مثل دور القرآن ودور الحديث ودور الصوفية، والتي كانت تسمى بالرباط أو الزوايا، وغيرها من الأسماء.

وغالبًا ما تخصص هذه المدارس لأبناء الفقراء والمساكين واليتامى، مع إعطائهم مخصصات ومنح نظير مواظبتهم على الدراسة، وخصصت لهم الكثير من الخدمات المرفقية المساعدة، كالطعام والشراب وتوفير المسكن لهم كفكرة الأقسام الداخلية المعمول بها في الكثير من الجامعات العالمية في عصرنا الحاضر(٩٥).

وكانت الهجرة لطلبة العلم غالبًا ما تتم من الأرياف والقرى إلى المراكز المدنية والتعليمية، مثل الكوفة وبغداد والقيروان وغيرها حيث النهضة العلمية فيها هائلة، ومما ساعد هؤلاء على تلقي العلم ما جُعل من الأوقاف والأموال المخصصة لطلبة العلم وابن السبيل، كما يقول ابن خلدون ٨٠٨هـ عن هذا الوضع التعليمي: "ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف"(٩٦).

---

(٩٢) المرجع السابق، ص٤١

(٩٣) المرجع السابق، ص٤٢.

(٩٤) رحلة ابن جبير، مرجع سابق ص٢٢٣.

(٩٥) مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق ص٤٣٤.

(٩٦) انظر :المرجع السابق ص٤٣٧.

ويذكر ابن بطوطة 779 هـ/1377م: "أن العشرات من المدارس ذات المستوى الابتدائي والجامعي كانت قائمة على أموال الوقف، وأن الأموال الموقوفة قد فاضت على الطلبة المنتسبين لها"(٩٧).

حتى بتنا نسمع رحالة عربياً مشهوراً كابن جبير يقول لأبناء الغرب الإسلامي أن يذهبوا إلى بلاد الشرق الإسلامي -وخصوصاً مراكز الحواضر كدمشق التي كان فيها وقت زيارة ابن جبير لها أربعمائة مدرسة موقوفة-؛ كي ينعموا بالكثير من الامتيازات والمنح المتوفرة في المشرق، خصوصًا وأن نظام الوقف في بلاد المشرق الإسلامي قد تطور واتسع ليشمل جميع قطاعات وفئات المجتمع آنذاك، إذ يقول: "والبلاد الشرقية كلها على هذا الرسم، لكن الاحتفال بهذه البلدة -يعني دمشق- أكثر والاتساع أوجد، فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها"(٩٨).

غير أنه مع تقدم مقدار الوقف المنصب على التعليم والثقافة في ديار المسلمين، ومع تسابق المحسنين على جذب أبناء المسلمين إلى مراكزهم الوقفية التعليمية، بدأت تصرف إلى المدرسين رواتب نظير عملهم، بل كان الأمر يصل بهم إلى تحصيل مواقع مميزة عند السلطان، كما حدث مع الجويني والغزالي ٥٠٥هـ وغيرهما من علماء المدرسة النظامية، مع تخصيص ميزانية للمصاريف التي يتكبدها المدرس خلال تنقله وسفره، وتخصيص ملابس خاصة لهم (٩٩).

بل -وحسب شروط الواقف- يُصرف للمعلم راتبه الشهري سواء كان هناك طلاب أو لم يكن، كما سئل الأصبْحي ٧٠٠هـ عن عوائد وظيفة موقوفة على معلم القرآن في بلدة ما لا يوجد فيها طلبة، فكان جوابه أن يصرف للمدرس مقابل تعليمه فقط، ولا يجوز نقل العوائد إلى بلدة أخرى (١٠٠)، علمًا أن الوقف لا يعطى للباحثين والمؤلفين؛ لأن مهنة البحث والتأليف من لوازم العملية التدريسية للمدرسين.

---

(٩٧) رحلة ابن بطوطة -تحفة النظار في غرائب الأمصار عجائب الأسفار-، ابن بطوطة، تحقيق: علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ، ص١٠٥.

(٩٨) انظر: رحلة ابن جبير، مرجع سابق ص٢٣٢.

(٩٩) من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، مصطفى السباعي، بيروت، ط٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٣٢.

(١٠٠) نشأة الكليات، جورج المقدسي، مرجع سابق، ص٨٣.

وعلى المدار التاريخي لرقي حضارة المسلمين وتطور علومهم الشرعية والتطبيقية، استوجب الأمر أن تنمو معهم مؤسساتهم الوقفية التعليمية، فانتهى الأمر لتنقلب أمور المدارس وبيوت إيواء العلماء إلى جامعات خاصة، خصوصًا في مراكز الحضارة الإسلامية في دمشق وبغداد والحجاز ومصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة.
ولعل المدرسة المستنصرية التي أنشأت عام631هـ قد أخذت أول طابع لمؤسسة جامعية إسلامية قائمة على مال الوقف، حيث تدرس بها العلوم الشرعية والطبيعية والرياضية وغير ذلك.
وإن كان الكثير من العلماء والمؤرخين اختلفوا في أول مدرسة بُنيت في التاريخ الإسلامي، إلا أن اختلافهم يتجه غالبًا إلى عدم التفريق بين مدرسة أولية ابتدائية كالتي كانت في نيسابور" كالبيهقية"، ومدرسة قريبة من الوضع الجامعي في زماننا "كالمدرسة النظامية" ببغداد459 هـ/1067م، التي كان مدرسها الأول أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، التي خَرَّجت فحول العلماء خصوصًا ما بين القرن الخامس والتاسع الهجري.
وليس من المبالغة أن نقول أن هذه المدرسة كانت شعلة انطلاقة بناء المدارس والمعاهد فيما بعد، خصوصًا على يد الحكام والأغنياء الذين أوقفوا الكثير من أموالهم وعقاراتهم للمدارس بعدما رؤوا النجاح الباهر الذي حظيت به المدرسة النظامية، مثال ذلك المدرسة النورية في الشام، والتي أنشأها نور الدين محمود زنكي عام ٥٦٣هـ، والمدرسة الناصرية في مصر ٥٦٦هـ، نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين، وغيرهم الكثير.
ففي بغداد أقيمت المدرسة المعتصمية قرب الأعظمية، رعتها أم رابعة حفيدة الخليفة العباسي المعتصم بالله،" شمس الضحى"، التي أوقفت كل ما تملك لها.
وامتازت بغداد منذ أواسط القرن الخامس الهجري بعدد من المعاهد والمدارس الكبرى المستقلة عن الجوامع، وقد كانت في ازدياد مطرد حتى سقوط بغداد بيد المغول في سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م، فقد كانت مدارسها يومئذ ثمانٍ وثلاثين مدرسة، علاوةً على عدد هائل من دور القرآن والحديث، وحلقات المساجد والكتاتيب، والربط وغيرها من مجالس العلم والدراسة (١٠١).

---

(١٠١) المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، ناجي معروف، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧، ص١٢٣.

وفي مصر بنيت مدارس شرعية وقفية -قريبة من النظام الجامعي- مثل المدرسة الصالحية الوقفية، أقامها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة٦٤١هـ، وهي أول مدرسة تدرس المذاهب الأربعة. وبنيت فيها كذلك مدارس للعلوم التطبيقية والطبية، مثل مدرسة المنصورية التي أنشائها المنصور بن قلاوون عام ٦٨٣هـ، وأوقف عليها الكثير من الحوانيت والأطيان.

ولقد اشتهر الوقف التعليمي الثقافي في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي – بعد سقوط الدولة الفاطمية – والذي أوقف الكثير من الأراضي الزراعية والمباني والعقارات للمدارس ودور الكتب والمجالس العلمية، حتى أصبحت القاهرة محطة علمية لطلبة المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية لمجانية التعليم فيها؛ لكثرة الأوقاف المخصصة للتعليم (١٠٢).

بل ما زال جامع الأزهر - الذي بني عام359 هـ/970م، وافتتح بعد عامين على يد الفاطميين المؤسسة الإسلامية العريقة التي يتوافد إليها معظم طلبة العالم الإسلامي، ما زال يعطي لكثير من طلبة العلم راتبًا شهريًا مع دراسة مجانية بفضل ريع الوقف المخصص للطلبة.

وفي الشام كثرت الأوقاف، حتى قال ابن بطوطة عند زيارته دمشق: "والأوقاف بدمشق لا تُحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها..."(١٠٣)، حتى قال سلطان الكتاني في وصف الحالة العلمية في دمشق آنذا (١٠٤):

إلا وجدت فتى يحل المشكلا	**ومدارس لم تأتها في مشكل**
وخصاصة إلا اهتدى وتمولا	**ما أمَّها مرء يكابد حيرة**
يستنقذ الأسرى ويغني العَّيلا	**وبها وقوف لا يزال مغلها**

وفي مكة المكرمة أوقفت الكثير من المدارس، منها مدرسة الأرسوفي نسبةً إلى عبد الله الأرسوفي، التي أنشأت عام ٥٧١هـ .ومدرسة الزنجبيلي 583هـ أنشأها الأمير فخر الدين

---

(١٠٢) مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق ص 434 . انظر: المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، ناجي معروف، مرجع سابق، ص١٢٦.

(١٠٣) رحلة ابن بطوطة، مرجع سابق ص١٠٤.

(١٠٤) انظر: روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص١٣٥.

الزنجبيلي (١٠٥) -زنجبيلة من قرى دمشق-. وأوقف المنصور غياث الدين المدرسة الغياثية عام 813 هـ، وجعل عليها أموالا كثيرة.

كما فعل السلطان قايتباى بمدرسته الكبيرة التي افتتحت عام ٨٨٤هـ، وضمت الكثير من الأموال الوقفية خدمًة لروادها وطلبتها. وفي عام 927 هـ أوقف السلطان سليمان القانوني أموالا طائلة على المدرسة لتدريس المذاهب الأربعة.

لذا يمكن القول أن أغلب هذه المؤسسات الجامعية –فضلا عن المدارس والكتاتيب– قائمة بالدرجة الأولى على ما خصص لها من مال الأوقاف والأهالي والخيرات الشعبية لعموم المسلمين.

ويلحظ أن المال الوقفي قد صاحب هذه المراحل الثلاث، وطوَّر عطائها، وعلى ذلك فإن تطور المؤسسة التعليمية في الإسلام، بدأ بالمسجد ثم مجمع المسجد– الخان-، فالمدرسة وما شابهها من معاهد تعليمية(١٠٦).

وفي ظل هذه الأجواء المفعمة بالحرية العلمية، والاستقلالية من أي نفوذ أو تأثير -خصوصاً من السلطات الحاكمة كالخلفاء والأمراء والولاة والأعوان-، بدأت تزدهر صفحات العلماء المستقلين والمعتمدين على علمهم من دون ضغوط أو قيود، مما أتاح لهم الدخول بقوة على الواقع المعيشي، والعمل على إصلاحه وتهذيبه في ظل دولة ترفع شعار الإسلام، وتأمر بتطبيقه، مما جعل حركتهم مستمرة ومناهجهم مثمرة.

كما يحسن الإشارة في هذا المقام إلى أن بعض الخلفاء أو السلاطين كان لهم دور بارز في تنمية مجالات التعليم والثقافة من خلال المال الوقفي، مما دعم موقف الفقهاء والعلماء في هذا الشأن، مثال ذلك الدور البارز للسلطان صلاح الدين الأيوبي في دعم المشاريع التعليمية في عصره، واتساع ذلك عند السلجوقيين فيما بعد في رفد ونشر هذا السلوك الحضاري بين المسلمين.

---

(١٠٥) معاهد التربية الإسلامية، سعيد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص 376 وما بعدها.

(١٠٦) نشأة الكليات، جورج المقدسي، مرجع سابق ص 27 وما بعدها.

٢/٢: مؤسسات الوقف الثقافية "المكتبات ودور الكتب :

مَثَّل تطور المكتبات محطة هامة في الحياة الثقافية الإسلامية على مدار التاريخ، ولا يتصور أن تكون هناك حضارة إسلامية بدون وجود دار معرفة وثقافة أُطلق عليها اسم المكتبة أو الرباط أو الزاوية أو دار الكتب.

ويمكن القول أن المكتبات أنشأت مع تأسيس المساجد والمدارس والزوايا، والتي غالبًا ما كانت تحتوي على مصاحف وألواح مكتوب عليها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم تطور الأمر تدريجيًا حتى أصبحت تشمل الشروح وتعليقات العلماء والشيوخ. وعادةً تقسم المكتبات إلى(١٠٧) :-

(أ) مكتبات عامة : يشرف عليها الخلفاء والأمراء، وتلحق بالمساجد والمدارس، وتكون لها أبنية خاصة، تشمل الحجرات والغرف الخاصة لفنون العلم، وأخرى للخدمات والترتيبات الإدارية، إضافةً لديون الموظفين بها.

مثال ذلك مكتبة المدرسة النظامية التي كان أمينها الأسفريني أحد علماء زمانه، ومكتبة مدرسة ومشهد أبي حنيفة ببغداد، ومكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة، ودار الحكمة بالقاهرة، وبيت الحكمة ببغداد، ومكتبة الحكم بالأندلس، ومكتبة قرطبة التي أشرف عليها الأمويون إبان الحكم العباسي.

ومن أبرز المكتبات الوقفية في تاريخنا الإسلامي، مكتبة "بنو عمار"، في طرابلس بالشام، إذ كان بها ١٨٠ ناسخًا، وبلغ عدد كتبها مليون كتاب(١٠٨)، وأغلب هذه المكتبات كانت قائمة على الوقف، أو مستفيدة منه في بعض صوره.

(ب) مكتبات خاصة : وغالباً ما تعود ملكيتها لأفراد أو هيئات خاصة، مثل مكتبة الفتح بن خاقان 247هـ، له مكتبة واسعة أشرف عليها علي بن المنجم، ومكتبة القاضي أبو المطرف402هـ -قاضي الجماعة بقرطبة-، الذي كان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وعندما توفي اجتمع أهل قرطبة عامًا كاملا لبيع كتبه في مسجده(١٠٩)، ومكتبة ابن الخشاب

---

(١٠٧) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، مرجع سابق ص 155 وما بعدها .انظر: الوقف وبنية المكتبة العربية، يحيى محمود ساعاتي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٦.

(١٠٨) الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك السيد، مرجع سابق، ص٢٦٨.

(١٠٩) معاهد التربية الإسلامية، سعيد علي، مرجع سابق ص٣٩١.

567هـ، ومكتبة جمال الدين القفطي646هـ، الذي جمع من الكتب ما لا يوصف، وغيرها من كتب الأفراد والجماعات الصغيرة.

وغالبًا ما تصرف هذه المكتبات الخاصة بعد موت أصحابها بوقفها لطلبة العلم أو توزيعها على المدارس والجوامع أو المكتبات العامة، كما فعل محب الدين النجار الذي أوقف كتبه للمدرسة النظامي(١١٠)، ولأجل ذلك قامت الكثير من المكتبات ودور الكتب على الوقف وأموال الأهالي كما قامت المدارس ودور العلم، وألحق بالوقف كل ما يتصل بالمكتبة من حاجيات وأدوات، كالنسخ والأوراق وأجرة العاملين بالمكتبات، بل وصل الأمر إلى جعل غرف للضيافة داخل المكتبات للباحثين والطلبة.

ففي دار العلم المملوكة لجعفر الموصلي، كانت الكتب موقوفة لطالب العلم، لا يمنع أحدٌ من دخولها، إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه وَرَقاً ووَرِقاً(١١١).

وكان الكثير من الواقفين من يمنع خروج الكتاب خارج المكتبة؛ خوفًا من ضياعه أو تلفه، وحتى يستفيد منه عامة الناس، بل حرم الاطلاع الداخلي لمن عرف عنهم التفريط في استخدام الكتب(١١٢).

وبسبب كثرة الوقف على المكتبات(١١٣)، انتشرت مهن كثيرة مرادفة لعمل المكتبة مثل نسخ الكتب، ومهارة الخط، وطباعة الأوراق، وتجليد الكتب، وترجمة النصوص والكتب، إضافَة إلى فريق إداري مختص بالعمل المكتبي، ففي مكتبة الخليفة الفاطمي نُسخ ١٢٠٠ نسخة من كتاب تاريخ الطبري٣١٠هـ، وعين نُساخ لمساعدة الطلبة والعلماء في تحصيلهم العلمي، وجعلت أجرة هؤلاء النُساخ على حساب الوقف المعد للمكتبة(١١٤).

لذا، ليس جزافًا أن نقول أن الوقف على المكتبات وخزائن الكتب قد ساعد على تنمية الحياة العلمية والفكرية للمسلمين، إضافة إلى تطوير الصناعات اليدوية، مما أدى إلى رفاه

---

(١١٠) المرجع السابق، ص٤١٤.

(١١١) الورَق: ما يكتب فيه، والورِق: الفضة، كنايَة عن الدعم المالي للطلبة الغرباء. (انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبوعات دار المأمون، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣/٧. انظر: نشأة الكليات، جورج المقدسي، مرجع سابق ص٣٣.

(١١٢) معاهد التربية الإسلامية، سعيد علي، مرجع سابق ص٤٤٣.

(١١٣) إن أصالة الحضارة الإسلامية، وحبها لنشر العلم بين عموم الناس، أدى إلى أن تكثر المكتبات ودور النشر الصغيرة الأهلية في أماكن السفر والترحال، بل و في مواطن البعد عن مراكز المدينة والحواضر.

(١١٤) الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك السيد، مرجع سابق ص٢٧٣

اجتماعي واقتصادي في المجتمع الإسلامي، على هذا قول ابن جبير ٦١٤هـ: "وبالجملة فأحوالهم كلها بديعة، وهم يرجون عيشاً طيباً هنيئاً"(١١٥).

ووصل الأمر إلى أن تبنى مكتبات ضخمة مليئة بالكتب والرسائل العلمية مثلت إنارة وضياء لطلبة العلم والباحثين، بل وإلى الشيوخ والعلماء، حتى وصل الأمر إلى أن تكون هذه المكتبات محطات ومراكز علمية، بل يرجع بعض الباحثين إلى أن الوقف على المكتبات وخزائن الكتب في الحضارة الإسلامية هو أساس ما عُرف لاحقًا في أوروبا بنظام الترست Trust(١١٦).

وأصبح أمر إيقاف المكتبات إلى العلماء أنفسهم، إذ أن الكثير منهم صار يرمي قبل موته إلى جعل مكتبته الخاصة وقفاً على طلبة العلم ورواد المساجد، وذهب البعض الآخر من المحسنين إلى صرف رواتب لطلبة العلم والباحثين والعاملين بالمكتبة(١١٧). بل ولكثرة المكتبات ودور الثقافة في المجتمع الإسلامي، انتشر العلم بين الجماهير وعموم الناس، حتى كان من بين العلماء الكبار من كانت مهنته بوابًا للمكتبة كما هو حال أحمد بن أبي بكر بن علي أحد علماء دمشق، وأبو الثناء بن أبي السعادات بواب باب الدمامات ببغداد(١١٨).

وبذلك، فقد مثلت المكتبات المدعومة بالمال الوقفي منحى جديدًا للعلماء والباحثين في تحديد مناهجهم وطرق تعاملهم مع النصوص الشرعية بحرية واستقلال، وشكلت لكل عالم وباحث أتباعاً وأنصاراً بحسب كفاءة منهجه وأسلوبه.

هذه المؤسسة الثقافية ساعدت أيضًا طبقات المجتمع الأخرى على الاستفادة من هذا الجو العلمي الحر من التأهيل والمشاركة في عملية الإصلاح داخل المجتمع والدولة.

وامتد دور المال الوقفي في تهيئة جيل من الكوادر العلمية القادرة على مد الدولة بكل الاحتياجات والإمكانات، ولم يكن هذا المال خاصًا بفئة دون أخرى، بل جاء لطبقات المجتمع ككل، وخاصة طبقة الفقراء والمحتاجين، الذين استفادوا من الأموال الوقفية خير استفادة، وكونوا طبقة متينة في مجتمع.

---

(١١٥) رحلة ابن جبير، مرجع سابق ص٢٣١.

(١١٦) فحوى نظام الترست عند الغرب أن يُجعل لخزائن الكتب في الأديرة والأماكن العامة نفقات محددة (انظر :الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك السيد، مرجع سابق ص٢٦٥).

(١١٧) المرجع السابق ص٢٦٧. وانظر: الوقف وبنية المكتبة العربية، يحي ساعاتي، مرجع سابق ص٣٥.

(١١٨) الدور الاجتماعي للوقف، عبد الملك السيد، مرجع سابق، ص٢٦٩.

وبالتالي حافظ المال الوقفي على نشر العلم والتعلم بين طبقات المجتمع بكل فئاته وقطاعاته، كما شد من أزر المجتمع وتماسكه البنيوي، مقابل ذلك كله، ساعد المال الوقفي في تنمية موارد الدولة الإسلامية، وخصوصًا البشرية منها، بتخريج كوادر متعلمة تملأ الوظائف الشاغرة في الدولة، من خلال مؤسسات وقفية رائدة مثلت قلعات شامخة على مدار التاريخ الإنساني، - كما هو الحال في جامع الأزهر أيام الفاطميين ومن جاء بعدهم - أي أن دور الوقف تعليمي واجتماعي وتنموي معاً.